

الكتابات السياسية الكاملة

القائد المؤسس ميشيل عفلق

في سبيل البعث - الجزء الأول

الباب الأول - أفكار وتأملات

الإيمان - 1943م

إن الأساس الخالد لعملنا، الأساس الذي لا يتبدل ولا يستغنى عنه هو (الإيمان). والتفاؤل مظهر بسيط من مظاهر الإيمان. هذه نظرة قد يعتبرها بعضهم غيبية، ولكن الحياة برمتها تقوم عليها منذ أن وجدت الحياة الإنسانية. وإذا طرحت هذه النظرة جانباً لا يبقى تاريخ ولا يبقى إنسان.

ولو أعطونا ملك الأرض، ولو أعطونا اليوم أو في أي وقت الدولة العربية التي تتحقق فيها أهداف البعث وقالوا إن الإيمان سيكون مفقوداً من حياة البشر الذين يكونون هذه الدولة المثلى، لقبّلنا أن نفصل أن نبقى أمة مجزأة وأمة مستعمرة ومستغلة، مقهورة ومستعبدة حتى نصل من خلال الآلام، من خلال الصراع بيننا وبين قدرنا، بيننا وبين أنفسنا، إلى استكشاف حقيقتنا الإنسانية.

هذا الإيمان لا يستطيع أحد أن يفخر بأنه أوجده وخلقه، هو في أعماق كل إنسان، وفي أعماق كل إنسان عربي. وقد شاء قدر أمتنا وتراثها وقيمها الروحية وحقيقتها الإنسانية أن يعبر هذا الإيمان عن نفسه بين مجموعة من الشباب، كانوا أبعد ما يكونون عن السياسة ورخص السياسة: سموا بالخياليين والمثاليين والأطفال، ولكنهم في هذه المرحلة من حياة العرب، مثلوا على بعض أجزاء الأرض العربية حقيقة النضال وقدسيتها النضال، ومثلوا شيئاً أعمق من حقيقة وقدسيتها النضال، مثلوا التفاني والتجرد وإنكار الذات والتواضع أمام الفكرة وأمام صوت الحق وآلام الشعب.

هذا الإيمان لم يقلل من شأنه أن تكون تعبيراته لم تبلغ بعد درجة النضج والوضوح اللازمين له، فثمة فرق أساسي بين المبدأ كروح، وبين المبدأ كذهن. فمبادئ الحزب كتعبيرات ذهنية هي بحاجة إلى عمل طويل وإلى دراسة وبحث لكي ترتقي شيئاً فشيئاً وتفيد من دراسات الأمم الأخرى، ومن نتائج البحث العلمي والتجربة الذاتية وتجربة الآخرين.

إن طريقنا طويلة وسوف يمر عليها أفراد وأجيال، لذلك يجب أن يعرف السائرون على هذه الطريق كلمة السر التي تبقى على صحة الطريق واستقامته وأمانته، وأن ينقلها كل فرد لآخر، وكل جيل لآخر. وكلمة السر هذه ليست نظرية يبرهن عليها وليست دستوراً رياضياً، ولكنها هي الميزة التي تميز الإنسان في كل عصر وكل قطر: عفويته التي تميز بين الصدق والكذب. فهذه الروح العفوية التي تغذيها التجارب ويصقلها الفكر والبحث، ولكن لا توجد في التجارب ولا العلم ولا الفكر، هذا هو المقياس وكلمة السر.

المصدر:

ميشيل عفلق، الكتابات السياسية الكاملة، في سبيل البعث، الجزء الأول، الباب الأول: أفكار وتأملات، مقال (الإيمان)، 1943م.